الموضوع الأول :دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر وتطور نظام الحكم

العثمانيون والأوضاع الأوروبية:

منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر، والقارة الأوروبية كلها عرضه لتأثيرات إسلامية واضحة، في مختلف المجالات لم تحظ بدراسة كافية، فقد وجدنا لورد أكتون يقرر بوضوح أن التاريخ الأوروبي الحديث يبدأ تحت مطارق العثمانيين. وقد أظهرت الوثائق الأوروبية التي راجع الكثير منها بعض الباحثين الأوروبيين أن كثيراً من المناطق الأوروبية كانت تستنجد بالعثمانيين إذ كان يطلب أهلها بأنفسهم الفتح العثماني تخلصا من حكم مسيحيين يخالفونهم في المذهب، أو مسيحيين يسومونهم سوء العذاب، فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن أهل كريت توسلوا إلى العثمانيين لفتح ديارهم، كما يؤكد ذلك الباحث الغربي كولز. كما نظر أهل المورة للعثمانيين كمخلصين، بعد أن سئموا سيطرة البنادقة الكاثوليك. وقد كان وصول العثمانيين لساحل دلماشيا واستقرارهم فيه منذ القرن الخامس عشر، حدثا جللا أثر على سائر أنحاء أوروبا.

وكانت أوروبا كلها منذ منتصف القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السابع عشر، وربما بعد ذلك تتابع الصراع بين المسلمين والكاثوليك، في البحر المتوسط خاصة، مع اختلاف وجهات نظرهم إزاء هذا الصراع بطبيعة الحال. فبينما كان عدد من البروتستنت بعد ظهور البروتستنتية يرى في إسبانيا الكاثوليكية حامية للمسيحية بمذاهبها المختلفة، أو على الأقل لا يتمنى هزيمتها أمام العثمانيين، ومجاهدي البحر المتوسط. كان هناك عدد آخر من البروتستنت يرى في الصراع بين المسلمين والكاثوليك الأسبان، صراعا بين شيطانين، ويتمنى أن يذهب كلاهما - المسلمون والكاثوليك - إلى حيث لا عودة. وفي وقت من الأوقات كان البروتستنت يجدون في مناطق أوروبا الشرقية الخاضعة للعثمانيين ملجأ وملاذا لهم هروبا من الاضطهاد الديني.

فإذا ما تركنا شرق أوروبا وانتقلنا إلى غربها، وجدنا حقائق أخرى مذهلة، أثبتتها الوثائق التي كشف عنها الباحثون الغربيون، وهي أن الشعب الإسباني كان معارضا لإخراج المسلمين بعد

سقوط غرناطة، وأن أصحاب الأراضي والأعمال ظلوا متمسكين بالعاملين المسلمين لديهم، حتى مطلع القرن السابع عشر، وأن طرد المسلمين كان عملا كنسيا خالصا، وأن الشعب الإسباني كان متعاطفا فقط مع إخراج اليهود لاشتغالهم بالربا وامتصاصهم دماء الشعب الإسباني. ويهمنا في هذا الصدد أن عدد كبيرا من المسلمين الأسبان قد خرجوا عبر البرانس إلى الأراضي الفرنسية ولاقوا في سفرهم هذا نصبا، وقد تمركزوا في سواحل فرنسا الجنوبية حيث رحلوا بعد ذلك إلى الشمال الإفريقي، وانضم عدد كبير منهم إلى حركة مجاهدي البحر المتوسط[1].

أولا- الأوضاع السياسية الداخلية :

- بداية الحكم التركي من عام 1518م الي غاية سنة 1830م بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر .

عهد البايلربات(1518م-1587م):

تميز بالخصائص التالية :

1. إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ،أصبح خير الدين يلقب بالبيلربايات .
2. هذه الفترة امتازت فيها الجزائر بالقوة و التفوق .
3. تحققت وحدة الجزائر الإقليمية و السياسية ،يعتبر صالح رايس(1552م-1556م) بطل تحقيق هذه الوحدة ،قضي علي الدولة الزيانية .

ثانيا- العلاقات السياسية الخارجية بماذا تميزت؟

1. امتلاك الجزائر لأسطول بحري قوي فرضت به ارادتها علي الدول الاوروبية و ارغامها علي دفع اتاوات مقابل ضمان الأمن و السلام لمراكبها في المتوسط.
2. ما يهب علي هذه العلاقات ،أن بدأ النفوذ الفرنسي يتسرب إلي الجزائر، كيف ذلك ؟ المثل التقليدي المعروف "عدو عدوي صديقي " كذلك الخلافة العثمانية و فرنسا ،كلاهما كانا عدوين لإسبانيا : من جهة عداء الأتراك و الجزائريين التقليدي للإسبان ، و من جهة ثانية ، عداء فرنسا لإسبانيا، نتيجة اعتداءات **شارلكان** الإسباني علي الشواطئ الفرنسية ، وتنافس الفرنسي التقليدي حول مشاكل القارة ووراثة العروش. إذن تعود العلاقات الطيبة بين فرنسا و الدولة العثمانية الي أيام السلطان سليمان القانوني و فرانسوا الأول.و تجسدت باتفاقية " **حصن الباستيون Bastion**" بالقالة لصيد المرجان .

ثالثا- الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

1. امتازت البلاد وثرواتها الزراعية و الحيوانية .
2. انتعشت الخزينة (بيت المال) بغنائم البحر .

---

[1] ولقصة الحضارةالمؤلف: ول ديورَانت،ص23 -24 .

3. الصناعة كانت تقليدية لصناعة النسيج .
4. تصدير الحبوب و البضائع الاخري مألوف و الجلود و الشمع الي الخارج .
5. تشجيع مشاريع العمران التشييد المساجد و المؤسسات التعليمية و التثقيفية و تسخير الأوقاف، و بناء الحصون و المستشفيات، و قلاع ضخمة لا تزال آثارها شاهدة علي أصحابها الي اليوم .و كان الهاجري الأندلس الدور الكبير في الازدهار العمراني و الاجتماعي .

رابعا- الجانب العسكري :

1. حملة **فردومونكاد** شهر أوت1519م ، منيت بهزيمة نكراء ، في الوقت الذي تمرد فيه أحمد بن القاضي .
2. ظل خير الدين يحارب الاسبان الي أن فتح الجزائر 1527م و قضي علي حصنهم ببرج الفنار.
3. حملة **اندرى دوريا** الإسبانية علي شرشال 1531م . دخلوا المدينة و عاثوا فيها فسادا.
4. حملة **شارلكان** علي الجزائر عام 1541م بعد استدعاء خير الدين الي القسطنطينية 1535م ، تولي نائبه محمد حسن آغا، كان مصير هذه الحملة الفشل الذريع.
5. فتح بجاية و تحريرها من الاسبان علي يد صالح رايس1555م .

و خلاصة مرحلة البايلربايات هو أن الانكشارية كان تشير مخاوف و شكوك الباب العالي في استقلالية الحكام الأتراك بالحكم نتيجة جمع السلطة في الولايات الثلاث : الجزائر و تونس و طرابلس تحت حكم رجل واحد . لذا تقرر تقسيم الحكم بفصل هذه الولايات عن بعضها البعض. و انتهي هذا الحكم الذي تميز بالقوة و حسن تسيير شؤون البلاد في الداخل و الخارج.

-عهد الباشوات (1587-1659):

أكدت هذه المرحلة أيضا استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية لأنه لم يكن بوسع الباشاوات المعينين حكم الجزائر دون حصولهم على رضا وثقة الجنود الإنكشاريين، أي إبداء الباشاوات استعدادهم لخدمة مصالح الوجاق (مجلس الجند الإنكشاري) واحترام حرية أفراده، وقد شهدت هذه المرحلة اضطرابات كثيرة مما أدى بخضر باشا، وبتأييد كبير من الكراغلة، إلى معارضة الوجاق وقتل الكثير من أفراده عام 1596، غير أنه في هذه الفترة بالذات شهدت البلاد ميلاد وتطور أهم مؤسساتها كالديوان والوجاق وطائفة الرياس وغيرها.

تميز العهد:

1. تميز بالصراع بين طائفة الرياس و الانكشارية علي الحكم.
2. سياسة الباشوات : كان تعيينه لمدة ثلاث سنوات ، جعل منه يشعر أنه ليس في حاجة الي ولاء الشعب ، مادامت مدة ولايته محدودة، فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال .
3. كان الباشوات يقومون بشراء هذا المنصب من الباب العالي فأصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية، وتعمق الهوة بين الشعب و الحكومة .

4. تأزمت العلاقات الجزائرية الفرنسية ، حيث عمل الباشوات علي وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين ،لأن فرنسا لم تحافظ علي نصوص المعاهدة . ذلك أن فرنسا بدأت تعتدي علي السفن الجزائرية.
5. الصراع بين الانكشارية و طائفة الرياس هذا الصراع راح ضحيته الأهالي.
6. ثورة الكراغلةعام 1633م نتيجة عجز الدولة عن دفع رواتب الجنود .
7. ثورة القبائل 1643م من أبرزها قبائل بنو العباس و قبيلة آل القاضي ، بسبب فرض الضرائب الباهضة.
8. فساد الإدارة و ظلم و صولة الانكشارية و عصبية البحارة الي سقوط نظام الباشوات و ظهور نظام الاغوات.

- **عهد الأغوات(1659-1671)**

1. هذه الفترة ازداد فيها الوضع سوءا أكبر من ذي قبل .
2. اهتز الحكم نتيجة الاغتيالات و المؤامرات التي كانت تحاك ضد هؤلاء الأغوات ، كان معظمهم يغتالون فوق كراسيهم .كان حكم الآغا لا يتجاوز مدة شهرين ، و أكثرهم يقتلون قبل نهاية تلك المدة .
3. فساد الحكم و تبديد ثروات البلاد و المال العام و عدن إدراك الأخطار التي تحدقلها البلاد نتيجة الخسائر الفادحة التي كانت الجزائر تتعرض عن طريق هؤلاء الحكام و عن طريق أستطيع أوروبا.
4. واصلت فرنسا اعتداءاتها علي السفن الجزائرية.
5. كان لويس الرابع عشر (1643-1715) شديد الحقد علي الجزائر و الإسلام. كان قد وضع خططا مع جواسيس لاحتلال الجزائر و لكنها باءت بالفشل.
6. هذا العهد الذي اشتري فيه الفساد و الأنانية و حب الذات ، أدي إلي تعويضه بنظام جديد.

الموضوع الثاني:عهد الدايات (1671-1830)

1. هذا العهد ،هو الآخر كان مليئا بالثورات و المؤامرات .
2. لذي ميز هذا العهد بكل جدارة و استحقاق ،هو عهد الباي محمد بن عثمان باشا (1766-1791). الذي استرجعت في عهده الجزائر مكانتها في الداخل و الخارج.

3. إثروفاة هذا الباي، بدأت الجزائر تسير نحو الانحطاط و باتت مفتوحة علي كل الاحتمالات، خاصة محاولات فرنسا احتلالها، لأنها كانت تحاك من زمن غزوها و تحقيق حلم امبراطورية نابليون و الخلاصة التالية تبين لنا ، كيف تطورت الأحداث.إن فترة الحكم العثماني بالجزائر التي استمرت ما يزيد عن ثلاثة قرون، كانت ذات آثار بعيدة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ذلك أن هذه الأوضاع كانت تتأثر بطبيعة الحكم، وكذا بالشخصيات التركية الحاكمة، آنذاك، فتميزت هذه الأوضاع بالنشاط والازدهار في بعض الأحيان والركود والانحطاط، أحيانا أخرى.

لكن بنهاية القرن السادس عشر، بدأت البلاد تأخذ منعرا خطيرا، حيث تفاقمت الاضطرابات والصراعات على الحكم وكثرت الاغتيالات والمؤامرات إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،ذلك أن حكومة الوجاك كانت تعاني – آنذاك – من التدهور الذي أصابها والذي كان يزداد شيئا فشيئا، سائر بالايالة نحو الانخطاط الكامل، خاصة في اليوم الذي تتوقف فيه المنافسات الأوربية بين بعضها البعض[2].

غير أن استعادة الايالة لقوتها في فترة تولي الداي محمد بن عثمان باشا (1766م-1771م)، قد مكن البلاد من أن تتغلب على العجز الذي كانت تعاني منه في الميزانية العامة[3]، وتسترجع مكانتها ومهابتها الدولية[4]، وتستكمل كذلك سيادتها الوطنية بعد تحرير الوطنية بعد تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني عام1792م[5]، يعود ذلك إلى السياسة التي درج عليها هذا الداي وكذا الباي محمد الكبير بالغرب الجزائري وصالح باي قسنطينة، حيث كانت تلك الشخصيات الثالاث على جانب كبير من الحنكة السياسة في تسيير شؤون البلاد والتحكم فيها. لكن أثر وفاة هؤلاء، بدأت الأوضاع الداخلية تسوء بشكل مهول، وأصبح من الصعب جدا أمام فساد الحالة أن يحدث الإصلاح أو على الأقل العمل حماية البلاد من الخطر الخارجي

إن الصراع على الحكم والتنافس اللاشريف من أجل كسب الأموال والثروات بشتى الطرق هو الذي طغى – في الغالب – على السياسة التي كان يسلكاه بعض الحكام الأتراك بالايالة.

لم تكن، حالة الجزائر السياسية، والعسكرية وكذا الاقتصادية، تساعدها على الوقوف على أرضية صلبة حتى تتمكن من رد الاحتلال الصليبي، خاصة وأن فكرة الاحتلال قد صارت ملحة، فلطالما خامرت طموح فرنسا، منذ أن تأسست الشركة الملكية الأفريقية بمنائي: القالة وعنابة، التي اتسع إلى تجارة الحبوب والشموع والجلود، ولعل حملة اللورد اكسموث عام 1816م، تمخضت بسبب المصالح المتضاربة بين فرنسا وانجلترا[6].

وهكذا بدأت أهمية الجزائر إقتصاديا واستراتيجيا، تتأكد للمستعمر منذ مطلع القرن التاسع عشر، ومن المؤكد أن القنصل الفرنسي دي فال كان أحد الأنصار الداعين بالحاح شديد لاحتلال

---

(2)–H.D. de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830). Paris. 1887. p.240.

(3)–V. de Paradis, Alger au XVIII° siècle, édité par E. Fagnan, Alger, 1898, voir pp. 97.103.

(4)-أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، الجزائر، 1973، أنظر صص 114-126، أنظر كذلك، ف. دي بارادي، نفس المصدر ص ص 140 - 141.

(5)-صالح فركوس، بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير، (1779 -1786م)، رسالة لم تنشر جامعة قسنطينة، 1979م أنظر، صص. 151-174.

(6)-نفس المرجع، ص. 40..

الايالة، وتقع عليه مسؤولية تعقيد مشكل الديون وتمثيل مشهد " حادثة المروحة"[7]، للقضاء على دار الجهاد وفتح المجال لفساد الكنيسة ومحاربة الإسلام.

إن ما قدمه الداي حسين لم يكن يسمح للبلاد من استرجاع مكانتها القديمة، لأن عوامل كثيرة داخلية وخارجية فرضت نفسها وهيات البلاد إلى الغزو الأجنبي:

أولا – وضعية الايالة في حد ذاتها كانت تسير نحو الانحطاط والانحدار منذ سنة 1791م إلى غاية سنة 1830م[8].

ثانيا – تكالب أوربا على الايالة، وخاصة المصالح الفرنسية الاقتصادية ومحاولة النفوذ أيضا لايالة تونس وفرض الهيمنة الاستعمارية بها[9].

ثالثا – تغيير العناصر الجديرة بأخرى أقل حنكة وخبرة في ميدان الحرب كعزل أشهر قائدا عرفته الجزائر وهو محيى آغا وتعويضه بابراهيم آغا، الذي " لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، ولم يكن يعرف الشيئ الكثير من التكتيك العسكري[10].

رابعا – معركة نافارين في 20 أكتوبر 1827، قد استنفذت تقريبا ،القوة البحرية الجزائرية، بالاضافة إلى عدم تحصين شاطئ سيدي فرج أو اتخاذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب من طرف الآغا ابراهيم[11].

الموضوع الثالث:العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني ومكانتها الدولية

منذ القرن 16 م تمتعت الجزائر بمكانة هامة في العالم و استطاعت أن تفرض هيمنتها علي كامل البحر المتوسط و هذا بعد انضمامها إلي الدولة العثمانية من جهة و من جهة أخري توجهها نحو الصناعة الداخلية مع تقوية جيشها و أسطولها البحري كما عملت علي تحريك عجلة التجارة الداخلية و الخارجية ضف إلي ذلك التسابق الأوروبي علي ربط علاقات في

---

(7)–F. CH. Roux. France et Afrique du Nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête Paris 1932 voir p. 525.
(8)–M. Gaïd, op. cit., p6.
(9)–F. CH. Roux. op. cit., voir pp. 603-608.
(10)-حمدان خوجة، نفس المصدر، أنظر، ص ص. 188-189.
(11)-نفس المصدر، ص189.

مختلف المجالات مع الجزائر لضمان الامتيازات في شكل استثمارات تجارية أو إدارية، أو حتى مع الدولة العثمانية لضمانها مع بقية الايالات .

ويذكر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في مذكراته أواخر القرن 19م حول العلاقات العثمانية الفرنسية يقول :**"كُنَّا قبل قُرُون خلت موجهين أنظارنا صوب فرنسا إذ تعود صداقتنا مَعهَا الى عهد لويس الرَّابِع عشر الَّذِي أعلن أَنه لن يتحالف مَعَ أَيَّة دولة أوربية تعادي العثمانيين الْأَبْطَال وَلَا شكّ أننا مدينون فِي إصلاح جيشنا وَفِي سلَاح مدفعيتنا بِوَجْه خَاص للضباط الفرنسيين وَلم يعْدم جيشنا بعد ذَلِك التَّارِيخ من ضباط فرنسيين حَيْثُ كَانَ اشتراكهم فِي حَرْب القرم رمزا للتحالف العثماني الفرنسي وَلنَا أَن نقُول أن السنوات الْأَخِيرَة من تاريخنا هِيَ الْعَصْر الذَّهَبِيّ للعلاقات مَعَ فرنسا والإصلاحات الَّتِي نفذت فِي عهدي سلفي عبد الْعَزِيز و عبد الْمجِيد هِيَ إصلاحات مستمدة من فرنسا وَكَانَت الْمدَارِس والمعاهد العسكرية تَحت تَأْثِير النظام الفرنسي وَأول خطّ حديدي فِي بِلَادنَا أنشىء من قبل الفرنسيين[12]".**

العلاقات الجزائرية الأمريكية:

تعود العلاقات الجزائرية الأمريكية الي نهاية القرن 18م بدأ التمثيل القنصلي الرسمي للولايات المتحدة بتقديم جويل بارلو أوراق اعتماده كقنصل لدي حسن الجزائر في 4 مارس 1796. قبل بارلو، تم تعيين جون بول جونز قنصلًا في 2 يونيو 1792، لكنه توفي قبل وصوله إلى المنصب . .بيير إريك سكولدبراند ، شقيق القنصل السويدي في الجزائر العاصمة ، عمل كوسيط للولايات المتحدة في التفاوض على معاهدة سلام مع الجزائر، ثم انقطع الوجود القنصلي من 25 يوليو 1812 حتى يوليو 1815 بسبب حرب الجزائر[13] .

---

[12] عبد الحميد (الثاني (مذكراتي السياسية،ط5 مؤسسة الرسالة – بيروت،1146ه،ص139.

[13] https://www.state.gov/u-s-relations-with-algeria

و لقد جاء في معاهدة السلام التي أبرمتها الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 5سبتمبر 1795م من الفقرة الثالثة من نص المعاهدة التي كتبت باللغة العثمانية فقط مايلي: **"لقد كانت المعاهدة فاتحة خير على الولايات المتحدة وتجلى ذلك في ازدهار تجارتها بالمتوسط وحصولها على اعتراف باستقلالها من تونس وليبيا بفضل وساطة وضمان الجزائر فيهما وباركها رجال السياسة وكبار التجار لأنها فتحت آفاق تجارية عالمية أنها كانت نصرا ديبلوماسيا أمريكيا محضا من دون تدخل أي وساطة أوروبية".**

"كانت المعاهدة بمثابة لبنة جديدة في تاريخ الديبلوماسية الجزائرية مع دولة ناشئة إلى جانب الدول الأوروبية . وكرست المعاهدة مع الولايات المتحدة صلحا دائما وأبديا وغير محدد بأجل . وتبرز المعاهدة سعي الديبلوماسية الجزائرية إلى تطبيق مبدأ المساواة مع جميع الدول ، فليس هناك في منظورها دولا كبرى وأخرى صغرى بل جميع الدول تساوى عندها في الرتبة" . ويذكر رتشارد لايبي (Richard Leiby) أن المعاهدة كلفت خزينة الولايات المتحدة 992000 دولار أي ما يقارب حاليا 14 مليون دولار [14]. كما تضمنت المعاهدة علي 22 مادة من بينها يحق للسفن الجزائرية تفتيش السفن الامريكية و اظهار طواقم السفن لجوازات السفر .

بين داي الجزائر والرئيس الأميريكي سنة 1825[15] :

أعلنت الجزائر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية في 12 نيسان - أبريل - 1825، بسبب استغلال أمريكا لاتفاقياتها مع الجزائر بطريقة سيئة، وبسبب عدم وفاء أمريكا بالتزاماتها. وأرسل الرئيس الأمريكي جيمس ماديسون رسالة إلى الداي تضمنت ما يلي:

لقد أعلنتم سموكم الحرب على الولايات المتحدة، وقد قرر الكونغرس في إجتماعه الأخير إعلان حالة الحرب مع حكومتكم، وكلف أسطولا من بواخرنا بالتوجه إلى البحر الأبيض المتوسط لتنفيذ ذلك القرار. وسيكلف هذا الأسطول تخييركم بين الحرب والسلام، وأنتم وما ترون، ولنا وطيد الأمل أن توازنوا بين ويلات الحرب ومزايا حسن التفاهم مع أمريكا التي تزداد قوتها مع الزمن، فتجنحوا إلى استئناف ما كان بين الحكومتين من علاقات الود والصداقة، وليس لحكومتنا هدف إلا السلام والصداقة مع الجميع.

---

[14] الجيلالي شقرون ،اتفاقية السلام و الصداقة الامريكية الجزائرية الاولي 5 سبتمبر1795م،المجلة المعاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ،ع2 ،ص 48 .

[15] بسام العسلي، سلسلة جهاد شعب الجزائر،ج 2، دار النفائس، 1986، ص194.

و قد أجاب الداي عمر باسم الحكومة الجزائرية على ذلك - بعد أن حدد شروط الصلح، وتضمنت رسالته:

وإني أبلغكم رغبة حكومتي في استئناف علاقات الصداقة التي ربطت بين بلدينا منذ أكثر من عشرين سنة، ولا سيما أن أمريكا كانت أول دولة عقدت معها حكومتي معاهدات سلام. ونتمنى بعون الله أن يأتينا ردكم سريعا بالموافقة على شروطنا الموضحة آنفا، أما إذا رفضتم الموافقة عليها، فإنكم تتحملون وزر خرق قوانين الإنسانية المقدسة، والاعتداء على مواثيق الأمم.

مفهوم الامتيازات :

يحمل مصطلح الامتيازات مدلولين أحدهما قانوني عام والاخر تاريخي خاص ، فالأول يعني ترخيص قانوني يعطى من قبل الدولة أو هيئة عامة يمنح صاحبه حق استغلال مرفق عام أو جزء من الثروة لمدة محدودة مقابل مبلغ مقطوع أو إيجار سنوي أو نسبة من الأرباح . ويكون للدولة الحق في تقصي أوجه استخدام الامتياز حرصا على مراعاة بنود وأحكام الإتفاق الذي منح الامتياز ، بموجبه ويحدث أحيانا أن تمد الدولة أصحاب بعض الامتيازات بإعانات وقروض في حالة توخي مصلحة عامة من ذلك ، ويجد منح الامتياز تبريره في كثير من الحالات مثل عجز الدولة عن تعبئة رؤوس الأموال أو الخبرة الفنية والإدارية الضرورية لاستغلال أو تطوير الثروة القومية .

أما المدلول للامتيازات ، فهو تاريخي تمثل في امتيازات كان يتمتع بها رعايا بعض الدول الأوروبية في مناطق معينة من العالم سيما في المشرق العربي والمغرب العربي في العهد العثماني فكان يسمح بموجب هذه الإمتيازات لتلك الدول الغربية بإقامة محاكم بها في أراضي الدول الأخرى لكي تحاكم رعاياها المقيمين في تلك الأقطار ، وهكذا أصبح الأوروربيون بمقتضى تلك الامتيازات يؤلفون هيئة مستقلة لا تخضع لنفوذ الدولة التي يعيشون على أرضها ولا يمتد إليهم سلطانها ولا تطبق عليهم قوانينها ، ولا يلزمون بتشريعاتها المختلفة مدنية أو جنائية .ولقد اتخذت هذه الاتيازات صورة معاهدات واتفاقات عقدتها الدولة العثمانية مع
فرنسا أولا ، ثم مع بقية الدول الأوروبية الأخرى ، وكانت تلك الامتيازات بابا ولقد اتخذت هذه الامتيازات صورة معاهدات واتفاقات عقدتها الدولة العثمانية مع للتدخل الأجنبي وإثارة الفتن الداخلية وخطوة نحو السيطرة الأجنبية ، وحدث كل هذا بعد أن تخاذل الأتراك العثمانيون أمام الأطماع الأجنبية المعلنة منها والخفية .

2 - ظهور الامتيازات الأوروربية :

يعود تاريخ ظهور الامتيازات الأوروبية في ولايات الدولة العثمانية إلى عقد أول معاهدة سنة 1535 م ، بين السلطان العثماني سليمان القانوني (1520 - 1566 وفرانسوا الأول ملك فرنسا (1494 - 1547) ، وبمقتضى هذه المعاهدة أصبح لفرنسا الحق في حماية البعثات التنصيرية الكاثوليكية بفلسطين والعناية بالأماكن المقدسة وترميمها .. رعايتها جميع وكانت هذه الخطوة الأولى نحو التوسع في هذا الحق ، حيث طالبت فرنسا بأن تشمل المسيحين الكاثوليكين الذين يوجدون في كامل الولايات العثمانية ، وبذلك أصبح في إمكان سائر رعايا الغرب المسيحيين الكاثوليك حق الانتفاع بما شملته المعاهدة من حقوق وإمتيازات وهو الأمر الذي ألهج السنة دول أوروبا بالثناء على فرنسوا الأول .. ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت روسيا - التي لم يكن يرضيها أن تظل الأماكن المقدسة في يد الكاثوليك - على مسرح الأحداث تنافس فرنسا ، وتطالب بحقها المزعوم في حماية الأقليات الأرثوذكسية . وفى سنة 1774 توصلت الى اقناع السلطان العثماني بوجهة نظرها القائلة بأنه ما دام الأرثوذكس مسيحيين كالكاثوليك فللروس ما للفرنسيين من الحق فى رعاية الأماكن المقدسة التي هي حق مباح لـ مسيحي كاثوليكيا كان أم أرثوذكسيا . فأصدر السلطان فرمانا أباح به للروس الانتفاع بكل الحقوق والامتيازات التى منحت لفرنسا من قبل .

معاهدة إمتياز فرنسي خاصة بالباستيون في الجزائر ابرمت 11 مارس 1679

و المعاهدة أبر مناها نحن : الأمجد باشاء الديوان وأوجاق الجزائر مع صديقنا المخلص السيد : دوئيس ديو الذي تقدم وطلب منا إعادة نشاط التجارة وصيد المرجان في الاستيون والأماكن الملحقة به (القالة - بونة - القل - جيجل - بجاية) تقد وافقنا على هذا الطلب ، نظرا للتقدير الذي نكنه لشخصه والقبول الذي حظي عند امبراطور فرشا تضمنت المعاهدة 13 بندا) البند الثالث نظرا لكون الياستيون والمبال الموجودة في القالة في حالة سيئة جدا ، فإنه يسمح له وإعادة بنائها .... وأخذ المواد الضرورية لذلك في عين المكان ، كما يسمح له ببناء (رحى) على كل مرتفع يحيط بالباستيون ، ذلك أن الرياح التي تهب من ناحية البر لا تستطيع تشغيل الرحى في الموقع الموجودة فيه حاليا ، مما جعل مستخدمي الباستيون ينقصهم الخبز وهو شيء يجب تلافيه لضمان التجارة . البند الرابع : إذا وقع نزاع بين الأهالي وبين (ديسو (نجم عنه تعذر حصوله على القمح لإعالة مستخدميه فإنه يسمح له بأن يحصل عليه في (بونة) ... ودفع ثمنه حسب السعر الجاري في السوق و كما يرخص له بشحن مركبين منه الارسالها إلى فرنسا لإعالة النساء والأطفال أولئك الذين هم في خدمته سواء في صيد المرجان أو في التجارة ... البند السادس : يسمح للمراكب أن تشحن الكسكسي والمواد التموينية الأخرى ، كما يرخص أن يقيم مع السيد ديو رجل دين لأداء الصلوات في باستيون القالة و الرأس الحمراء البند الثامن : لا يدفع لقائد - القل - من الرسوم سوى عشرة بالمائة ، من النقود التي يبعثها السيد (ديسو) إلى هذه الأماكن لشراء الجلود ، ويمنع على القائد إستخلاص أي رسم آخر ؛ كما يمنع على سكان هذه المملكة غش الشمع أو بيعه وكذا بيع الجلود سواء للأهالي أوللمسيحيين . فذلك يتعارض مع حسن نيتنا ومع الكلمة التي أعطيناها .. وسيعاقب المخالفون بمصادرة سلعهم لمصلحة جماركنا . البند التاسع : إن النقود والمرجان التي ترسل إلى الجزائر لسداد (اللزمة) والعوائد الأخرى لن يدفع عنها أي رسم ، كما تعفى من جميع الرسوم المواد المعاشية التي ترسل إلى وكيل السيد ديسو) بمدينة الجزائر . البند العاشر : وإذا حدث لسوء الحظ ، أن وقع خلاف وأدى ذلك إلى القطيعة مع إمبراطور فرنسا ، لا قدر الله ، فإن المعني (ديسو) لن يزعج بسبب هذا ، ذلك أننا لا تريد

خلط قضية عامة بقضية خاصة ، ولا شؤون الدولة بأمور التجارة ، التي تمارس بنية حسنة ، فإن السيد - ديسو - سوف يعتبر في هذه الحالة مثل متعهدنا وصديق حميم ، سيستمر في التمتع بامتياز الباستيون وملحقاته بهدوء واطمئنان ، إذ أن ذلك سيعود بفائدة كبيرة بالنسبة لرواتب العسكر ولسكان هذه المملكة (الجزائر) . البند الثالث عشر : مقابل هذه الرخصة وهذا الامتياز الذي نمنحه للسيد - ديسو - وذويه فقد تم الاتفاق على أن يدفع لنا في المستقبل 34 ألف دوبل ذهب كل سنة على ستة أقساط متساوية ، مقابل هذا ، فإننا نتعهد باستمرار السيد - ديسو - وذويه في استغلال والتمتع باطمئنان بامتياز الباستيون والأماكن الملحقة به (حررت وأشهرت (المعاهدة) في دار السلطان والديوان مجتمعا بمحضر الأمجد اسماعيل باشاء والحاج محمد الداي وآغا المليشيا والمفتي والقاضي والفقهاء ورجال القضاء والحرب في 11 مارس سنة 1679 الموافق للتاريخ الهجري 1089 هـ توقيع وختم الباشا [16].

(1) الباستيون : هو المكان الذي بني فيه الفرنسيون بعض المساكن لإيواء صيادي المرجان والمخازن في القالة (شرق الجزائر)

(2) دويل : أو ديلون : عملة محلية تساوي 50 درهم أو حوالي ريالين

(4) اللزمة : غرامة تدفع لخزينة الدولة تؤخذ على الأراضي القبلية المشاعة .

لقد سارت العلاقات العثمانية الفرنسية على المنهج التقليدي الذي رسمته معاهدات الامتيازات منذ عام 1535 والتي تجددت عدة مرات أهمها معاهدة عام 1740 ، تلك المعاهدة التي منحت امتيازات واسعة لفرنسا سيما في المجال القضائي والتجاري وكانت هذه الامتيازات قد أفادت فرنسا فأنقذت بعض مقاطعاتها من المجاعة وشغلت كثيرا من معاملها في الجنوب) مرسيليا (وهذا الامتياز لا يشكل في حد ذاته عنصرا جديدا في العلاقات الجزائرية الأوروبية ، وإنما الجديد هو الوضع المتميز الذي أصبحت تتمتع به فرنسا في الدولة العثمانية والحقوق التي اكتسبها رعاياها في أقاليم الامبراطورية العثمانية.

[16] ج قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا. ص 290 م

الموضوع الرابع: الحملة الفرنسية على الجزائر

المصادر و المراجع التي يمكن للطلبة الرجوع إليها لمزيد من الإطلاع:

1. أحمد توفيق المدني : مذكرات الحاج الشرف الزهار،نقيب أشراف الجزائر،ش.و.ن.ت،الجزائر 1974 .
2. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، الجزائر 1992.
3. صالح بن نبيلي فركوس :تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الي غاية الاستقلال ،دار العلوم ،الجزائر ، 2005.

كيف بدأت الحملة الفرنسية علي الجزائر ؟

يصف لنا الحاج الشريف الزهار كيف بدأت الحملة الاستعمارية علي الجزائر، خاصة و أن الشريف الزهار كان معاصرا الأحداث حيث سجل الأحداث التالية :

" أرسل الباشا (الداعي حسين) للقنصل دوفال.. في قضية الدين(الديون)،و تكلم أيضا في قضية القالةعلي أن الفرنسيس احدثوا بها بناء ووضعوا بها مدافع (الباصطيون Bastion de France) تحول الي قاعة عسكرية خلافا للاتفاقية التي تنص علي أن هذا الحصن لصيد المرجان و للتجارة ..فلما التقي القنصل مع الباشا و هنأ بالعيد ..سأله الباشا لماذا لم يجبني الملك ؟ فقال له القنصل مقالة الرأي (اي الملك لا يجيبك) ..فاغتاظ الباشا (وكانت حادثة المروحة 27أفريل 1827)"[17].و هكذا بدأت فرنسا حصارها البحري انتقاما ،كما تدعي لشرف فرنسا ، فكيف ابتدأ؟

قبل كل بدأ الداي يشعر بالخطر و بدأ يعمل لتحصين العاصمة ، حيث يذكر الشريف الزهار قائلا:" ثم امر الباشا بتعمير الحصون و عين العسكر ، و أعطاهم الصناجق ، و عين العسة متاع الطوبجية (عسكر المدافع).. و سمعت (اي الشريف الزهار) رجلا من أتباع الآغا يقول أتي قنصل النابولطان يوما الي الآغا ، و قال له :إن عمارة الفرنسيس قادمة و ستنزل بسيدي فرج ، فلو جعلتم متارز في كل ربوة و عمرتموها بالمدافع... و وضعتم ألف عسكري علي كل متارز، فإذا نزل الفرنسيين في البر فإنه لا يستطيع أن يزيد عن موضعه. فضحك الآغا، و هو شهر الباشا ، و أجابه: إذا جاءت عمارة الفرنسيس و نزل جندها، فاقدم لكي تري كيف يقص العرب و القبائل رؤوس الفرنسيس ..."

ثم يسرد لنا الحاج الشريف الزهار كيف بدأ ظهور العمارة الفرنسية ، أي الحملة الفرنسية علي الجزائر، يقول[18] :" وفي يوم السبت الحادي و العشرين من ذي الحجة ،سنة ١٢٤٥ه (1830م) ظهرت عمارة الفرنسيس و يوم الأحد، نزل عسكرهم بسيدي فرج...،و في

---

[17]أحمد توفيق المدني:مذكرات الحاج الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، ش.و.ن.ت،الجزائر 1974،ص 163-164.

[18]المصدر نفسه،ص 168-170

الحقيقة ظهرت العمارة عشية الجمعة ،يو العشرين في الشهر ، و قدم الرايس أحمد بالجي وكيل ضريح سيدي فرج في الليل ، و أخبر الباشا بظهور بعض العمارة ، فقالوا له :إن ذلك سحاب ظهر في الأفق و من الغد رأينا كامل العمارة [19].

"ومع هذا كله ،و الباشا نائم، كأنه لم يكن له عنده عدو ، حتي أن العسكر الذين عنده خرجوا من محلة الشرق، و غير جميع النوبة التي في كل البلاد، و كتب له اليابان ليستنفروا له العسكر الذي عندهم ،و القوم ،فأجابهم بأن لا يستنفروا احدا الي الجزائر ،إنمايستنكرون الناس من أجل حراسة السواحل التي تليهم.

"ثم إن النصاري هاجموا موضع البرج ، و تمكنوا منه ، و أخذوا ما كان فيه من الأمتعة و غيرها من آلات الحرب و الدراهم التي اخرجوهامن تحت الردم. "

" و لما أخذهذا الحصن ، قوي ضرر أهل البلاد ، و أخذه أخذ البلد. ولما رأي الأمير ذلك ،بعث للطاغية و طلب الأمان لنفسه و اهله و ماله .فأجابوه لذلك. و طلب الأمان لأهل البلد في أنفسهم و أموالهم. و يسلمونه البلد دون قتال .فكتب لهم الجنرال دي بورمون كتاب الأمان في نفوسهم و أموالهم و مساكنهم و أمور دينهم ، و أن لا يتصرف في شيئ من أمورهم، إلا في الأمور المخزنية. و انه قبل الزوال يدخل بعسكره الي البلد ."

الحصار الفرنسي للجزائر:

أبعاده:

كانت قلة أدب القنصل الفرنسي مع الداي و لطمه بالمروحة كفيلة بضرب فرنسا حصارا ذو تأييد شبه عالمي علي الجزائر و منه يتحقق أبعادا أوروبية عامة و فرنسية خاصة يمكن تلخيصها كما يلي :

_ الإنتقام الأوروبي من الدولة العثمانية بعدما أصابها من الوهن ما أصابها و تقسيم ميراثها.
_ العمق الإستراتيجي الذي تتموقع عليه الجزائر و أهميته الطبيعية.
_ القضاء علي دار الجهاد و فتح باب جديد للكنيسة في إفريقيا عن طريق الجزائر.

الحصار البحري 1827م-1830م:

كان الحصار بعد شهر و نصف من رفض الداي حسين تقديم اعتذار رسمي للأسطول الفرنسي الراسي بساحل مدينة الجزائر وذلك بتاريخ 16جوان 1827م.بدورها قامت فرنسا بوضع شروط لقبول الاعتذارعبر مطالب تمس مكانة الداي حسين من بينها و ليس للحصر:

أولا- أن يذهب الداي حسين بنفسه إلى مقر القنصلية الفرنسية و يقدم اعتذارا رسميا للقنصل الفرنسي.

ثانيا- أن يرفرف على كل حصون مدينة الجزائر العلم الفرنسي و تطلق مائة طلقة مدفعية لتحيته.

---

[19] المصدر نفسه، ص170-175

ثالثا أن لا يتجاوز أجل قبول هذه المطالب أربعة و عشرين ساعة فقط، حتى يتمكن قادة الأسطول الفرنسي من إرغام حكومة الداي على قبول تلك الشروط القاسية و المذلة، و يحولون دون أي استعداد حربي معاد لفرنسا.

<u>الإنزال البحري وبداية الحملة:</u>

لم تكن الحملة الفرنسية بقيادة "بورمون "لحمل الداي علي الاعتذاربل الاستسلام ،رغم أن الداي حسين كان في اعتقاده أنه إذا ارسل طلبا للصلح و الاعتذارفي شكل امتيازات مالية و مسحاللديون سينتهيبورمون قائد الحملة و يعود أدراجه إلي وطنه، لكن الأمر كان محسوما بالنسبة للفرنسيين في تجهزهم للحملة فقد احتوي الأسطول علي 103سفينة حربية و سفن أخري، تمكن الفرنسيون خلالها في 14جوان 1830ممن الإنزال والاستلاءعلى سيدي فرج متتبعين في ذلك نصائح المهندس بوتان.

سقطت الجزائر العاصمة دون أدني مقاومة في يدي الغزو الاستعماري و وقّع الداي وثيقة الاستسلام التي تضمنت الشروط التالية:

1- تسليم القلاع و حصون العاصمة و أبوابها و الميناء صبيحة الخامس يوليو.

2- يتعهد بحفظ حياة الدّاي و ممتلكاته الشخصية.

3- يخير الداي بعد ذلك بأن يسافر صحبة أمواله إلى المكان الذي يختاره و بين أن يبقى في المدينة مع أسرته في حماية القائد العام أو أن يرحل و بمن معه.

4- كل الجنود الأتراك يتمتعون بنفس الحقوق و الحماية.

5- إقامة الشعائر المحمدية تكون حرة و لا يقع أي مساس بالحقوق و بحربة السكان من مختلف الطبقات ولا بدينهم و لا بأملاكهم و لا بتجارتهم و صناعتهم و تحترم نساؤهم ، و القائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف.

6- يقع تبادل هذه الوثيقة ممضاة يوم 5 يوليو قبل الساعة العاشرة صباحا و في الحال يتسلم الجنود الفرنسيون القصبة و قلاع المدينة الأخرى.

" وفي غضون أيام تحولت الحملة إلى احتلال. وتحولت تأديب **الداي حسين باشا،** إلى تأديب شعب وأرض، وأطلقوا منذئذ على العمليات إسما جديدا هو التهدئة (Pacification)، وتحول الانتقام من "الترك المستبدين الغرباء" إلى انتقام من صاحب الدار نفسه لأنه عربي ولأنه مسلم ولأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال، وأخيرا تحول المحررون إلى غزاة نقلوا حربهم من مدينة الجزائر إلى مختلف أنحاء القطر شرقا وغربا وجنوبا. وقد شمل هذا الغزو الإنسان والأرض والثقافة والدين[20].

لقد تهافت الجيش الفرنسي بكل شراسة لنهب ثروات البلاد و الأموال التي كانت بالخزينة ،حيث قدّر الفرنسيون قيمة هذه الموال كالتالي[1]:

- ذهب و فضة و جواهر: 48.684.527 فرنكا.
- صوف و بضائع أخرى: 3.000.000 فرنكا

[20]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 22

- قيمة مدافع أرسلت إلى فرنسا: 4.000.000 فرنكا

"لقد امتلكت الحكومة التركية في الجزائر عددًا كبيرًا من المنازل ، وكذا العديد من المجالات لكن بقت عناوينللملكية اسمية فقط لتختفي مع النظام العالمي القديم. ولأن الإدارة الفرنسية لم تكن لها أي ملكية قط وليس لديها الحق في الحيازة الشرعية للمهزومين ،قدافتقرت إلى كل شيء أو فكرت نفسها مقللةفي الاستيلاء العشوائي على ما تحتاجه ، في تحد للقانون و الحقوق"[21].

إن المحاولات الاستعمارية الفرنسية لغزو الجزائر لم تكن وليدة اليوم أو الأمس بل كانت منذ القرن السادس عشر ولم تكن لتحقق احتلالها لولا استسلام الداي حسين الذي اذعن لأعيان العاصمة و شيوخها لما استشارهم في أمره و قبلوه. ليبدأ الاحتلال الفرنسي تنفيذ مشروعه الاستعماري الممنهج في هذا العمق الإستراتيجي الذي لطالما كانت الكنيسة تحلم به لنشر كفرها و الحادها في أرض الإسلام ويضرب باتفاق الداى عرض الحائط في حفظ الأرواح والأعراف والأملاك.

[21]-فركوس صالح ،محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 13